

## مظاهر قدرة الله بخلق الإنسان وإماتته وخلق الأرض والسماء

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

### أسباب النزول والمناسبة

**المناسبة :** بعد أن ذكر الله صفات الفاسقين وموقف الكفار من القرآن، وجّه الخطاب إلى الكفار في هاتين الآيتين على طريق الإنكار والتعجب والتوبيخ على موقفهم وصفة كفرهم، بذكر البراهين الداعية إلى الإيمان: وهي التعم الدالة على قدرته تعالى من مبدأ الخلق إلى منتهاه، من إحيائهم بعد الإماتة والإحياء، وخلق جميع الخيرات المكنونة في الأرض ليمتتعوا بجميع ما في ظاهرها وباطنها، وخلق سبع سموات مزينة بمصابيح ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، أفبعد هذا كله يكفرون برسول الله محمد ﷺ وبرسالته؟

### المعنى العام

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: استفهام للتوبيخ والإنكار، والمعنى كيف تجحدون نعم الله المتوالية، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي: وقد كنتم نطفًا في الأرحام، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: بنفخ الروح في أجسادكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث من القبور، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء يوم النشور، ثم يسكنكم دار القرار، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، فهذه الآثار دالة على باهر قدرته وتما حكمته.

والمعنى أي هو الذي خلق لأجلكم ما استقرّ في الأرض جميعًا، تنتفعون به في الظاهر قوتًا، ودواء لأبدانكم، ومتعة لنفوسكم، وتنتفعون به في الباطن بالتفكير والاعتبار، وزيادة في إيمانكم وقوة لإيقانكم، ثم استوى إلى السماء فخلق سبع سموات مستوية تامّة، ليس فيها تفاوت ولا خلل، تظلمكم بجزمها، وتضيء عليكم بشمسها وقمرها وكواكبها، ولكونه عالمًا بكنه الأشياء، لذلك خلقها على هذا التمتط الغريب والإتقان العجيب، وهذه الآية دالة على أنّ الأرض خلقت قبل السماء.

### لطائف الإشارات للسلوك والتزكية في الآيات

#### ما يستخلص من الآيات

### في العقيدة

اعتقاد بطلان عقيدة التّمص -أي دخول الروح في جسد آخر بعد الموت وفق الأعمال -أو الكارما- عوضًا عن الحساب ثم الجنة أو النار- التي تخالف القرآن والسنة  
ومن اعتقد بالتّمص فقد كفر بالله ورسوله وكتابه. وقد أوضح تعالى أنه خلق الإنسان روحًا بلا جسد ثم أدخل الروح في الجسد بعد مرور مائة وعشرين يومًا من تكوّن الجنين، ثم يخرج الروح من الجسد عند الموت، ثم يعيد الروح إلى الجسد بعد نفخة الصور الثانية- والصور فيه ثقب بعدد أرواح العباد- وعندها يكون البعث والنشور، فيبعث العباد روحًا وجسدًا. فالإنسان يعيش حياتين: حياة الدنيا وحياة الآخرة، ويمرّ بموتتين؛ الأولى عندما خلق روحًا قبل نفخ روحه في

الجسد، والثانية عندما تُقبض روحه، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَرْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس رضي الله عنه: "كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم، قال: وهي مثل قوله تعالى: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَرْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾"<sup>(٢)</sup> وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى - فهاتان ميتتان وحياتان فهو كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

### اعتقاد أن البعث والنشور يوم القيامة بالروح والجسد

عقيدة المسلمين أن جسد الإنسان هو نفسه ويُبعث به في الآخرة، يُعاد كما كان ثم تدخل الروح فيه فيقوم الإنسان بجسده وروحه للحساب.

ولما سئل الإمام الغزالي رحمه الله عن هذا، أعطى المثل التالي: قال رأييت إلى إنسان أعمى وإلى إنسان كسيح. فالكسيح رأى إنساناً ثالثاً خبأ كنزاً له تحت الشجرة، فقال للأعمى: إني رأييت فلاناً خبأ كنزاً هنا وأنا لا أستطيع أخذه لأنني كسيح وأنت لا تستطيع أخذه لأنك أعمى. ما رأيك أن نتعاون فتحملني لنسرق الكنز؟ جاءت الشرطة وحملتهم إلى القاضي ليحاسبهم. قال للأعمى: أنت سرقت؟ قال له الأعمى: أنا أعمى، كيف أسرق! فقال للكسيح: أنت سرقت؟ قال له: أنا كسيح لا أستطيع أن أتحرك فكيف أسرق! فردّ القاضي: أنما تعاونتما معاً فسرقتما فعليكما الجزاء. وهكذا يقال يوم القيامة للروح والجسد، لأن الروح تقول أنا لا أستطيع أن أعصي أنا روح، والجسد يقول أنا بلا روح لا أستطيع المعصية، بلا حياة لا أستطيع شيئاً. فيقال: أنما تعاونتما - الروح والجسد - على الكفر والعصيان، لذلك فإنّ العقاب على الروح والجسد معاً أو النعيم على الروح والجسد معاً.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حَفَاةَ عُرَاءٍ غُرُلَا» ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(٤) (٥)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يُيْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٦)</sup>، وفي الحديث: «ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بِالصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جَسَدِهَا فَتَدْخُلُ فِيهِ»<sup>(٧)</sup>.

### من أسماء الله الحسنى: العليم

#### شرح اسم الله العليم:

صفة من صفات الله ﷻ، وهو المحيط بجميع المعلومات ولا يشغله علم عن علم. هو علام الغيوب لأن الله تعالى يعلم ما

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس رضي الله عنه، كتاب: سورة البقرة، باب: قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، حديث رقم: ٣٠٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس رضي الله عنه، كتاب: سورة البقرة، باب: قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، حديث رقم: ٣٠١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا...﴾، حديث رقم: ٤٦٢٥.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ...﴾، حديث رقم: ٤٩٣٥.

(٧) رواه الحاكم في المستدرک، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الأحوال "قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ...﴾، حديث رقم: ٨٧٧٢، وهو صحيح.

كان وما يكون قبل كونه وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الحواطر. **التعلق باسم الله تعالى العليم:**

بالاستمداد من علمه تعالى، والسعي في طلبه بقدر الإمكان.

- من عرف أن الله تعالى هو العالم بكل شيء، كان وثقاً به في كل شيء متوجّهاً إليه في كل شيء
- بالاكتماء بعلمه: الله يعلم حالي ويعلم نيتي ويعلم قصدي فلا أحتاج أن يعلم الناس عني.
- أن تستحي أن يراك الله تفعل ما لا يحبّه ولا يرضاه. "إن لم تعلموا أنني أراكم فالخلل في إيمانكم، ولو علمتم أنني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم".

### في الأمر والتّهي

**قاعدة:** الأصل في الأشياء الإباحة: حلية كل ما في الأرض من مطاعم ومشارب وملابس ومراكب إلا ما حرّمه الدليل الخاص من الكتاب أو السنّة لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۖ﴾.

### في الأخلاق والآداب

**التخلق باسم الله تعالى العليم:**

- أن تكون محبّاً للعلم النافع وللعلماء.
- أن تطلب العلم من المهد إلى اللحد، فكن عالماً أو متعلّماً، واحرص في كل يوم على أن تزداد علماً نافعاً.
- وأن تحاول أن تربط ما تتعلّمه بأسماء الله تعالى.

### في السلوك

**الإشارة:** كيف تنكرون ظهور نور الحق في الأكوان، وتبعدون عن حضرة الشهود والعيان، وقد كنتم أمواتاً بالغفلة وغم الحجاب، فأحياكم باليقظة والإياب، ثم يميّتكم بالفناء عن شهود ما سواه، ثم يحييكم بالرجوع إلى شهود أثره بالله، ثم إليه ترجعون في كل شيء لشهود نوره في كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وعند كل شيء "كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ".

يا عبادي خلقت الأشياء كلّها من أجلكم، الأرض تُقلّكم، والسماء تُظلكم، والجهات تُكثّفكم والحيوانات تُخدمكم، والتبّاتات تنفعكم، وخلقتم من أجلي، فكيف تميلون إلى غيري، وتنسون إحساني وبري؟! الأشياء كلّها لكم وأنتم عبيد الحضرة، "أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن، فإذا شهدت المكوّن كانت الأكوان معك". يا دنيا من خدمك فاستخدميه، ومن خدمني فاخدميه.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾. هاتان الآيتان الكريمتان تؤكدان عددًا من الحقائق الكونية الثابتة. فقبل خلقنا، كنا في عالم الغيب في علم الله تعالى، ولم يكن لنا وجود حقيقي. لكن بعد خلق آدم ﷺ أوجدنا الله تعالى في صلب أبونا آدم وحواء ﷺ. ولذلك تحدّث القرآن الكريم عن هذه المراحل بقوله ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بمعنى أننا لم يكن لدينا وجود مادّي قبل الخلق. فتعدّ عملية الخلق من أعظم النعم التي منّ الله بها علينا. أمّا الموت، فيعدّ من أعظم الحقائق التي نشهدها في حياتنا، فكلّ شيء يموت سوى الله سبحانه وتعالى، الجمادات والنباتات والحيوانات والبشر، كلّ مخلوق له أجل محدّد ثم يميتة الله تعالى. وهذه الآية تؤكّد على حتمية البعث بعد الموت. ويستشهد ربّنا تبارك وتعالى على هذا الغيب بواقع في وجودنا وحياتنا، فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

لقد شغلت قضية سبق خلق الأرض والسّموات المسلمين وخاضوا فيها طويلاً حتّى حسمها العلم الحديث، مع أنّ القرآن الكريم حسمها من قبل ولكن قدامى المفسّرين لم يستطيعوا فهم ذلك في الأزمنة السابقة، فقد قال تعالى للسّموات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(١)</sup> وعلم الفلك يؤكّد أنّ كل أجرام هذا الكون الأرض وما حولها من سماءات وما فيهنّ مرتبط ببعضه ارتباطاً وثيقاً بضوابط فائقة الدقّة، من حيث الكتل والأحجام والمسافات البينية وسرعة الدوران، كلّ هذا النظام لو اختلّ لجزء من الثانية لانهار هذا الكون، لذلك لا بدّ لنا من التسليم بأنّ خلق السّموات والأرض تمّ في وقت وزمن واحد كما أشار ربّنا في عدّة آيات وكما علّمنا ربّنا تبارك وتعالى، ولكنّ القرآن يشير والعلم يأمّن إلى حقيقة أنّ الله تعالى خلق أرضاً واحدة ثمّ مايزها إلى سبع أرضين، وخلق سماء واحدة في الوقت نفسه، ثمّ مايزها إلى سبع سماءات، وأنّ تمايز الأرضين السبع كان سابقاً، على تمايز السّموات السبع، وهذا ما أوضحته هذه الآية الكريمة السابقة الذّكر ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ وهي حقيقة لم يصل الإنسان إلى فهمها إلا في العقود المتأخّرة من القرن العشرين.

فحين انفصلت الأرض عن الشمس لم تكن سوى مجموعة غازات ككومة من الرماد، ولم يكن فيها شيء أثقل من السيليكون والألومنيوم، وبحكم كثافة الحديد العالية اخترق كومة الرماد هذه واستقرّ في قلبها وانصهر وصهر ما حوله ومايزها إلى سبع أرضين؛ لبّ صلب داخلي، أغلبه من الحديد والنيكل، ثمّ لبّ سائل له نفس التركيب ثمّ أربعة أوشحة متميّزة تتناقص فيها نسبة الحديد باستمرار من الداخل إلى الخارج، ثمّ الغلاف الصخري للأرض، لذلك نقول إنّ تمايز الأرض الأولى إلى سبع أرضين كان سابقاً لتمايز السماء الأولى إلى سبع سماءات.

فالأرض أصبحت صالحة للحياة ولاستقبال الإنسان بعد تكوّن الغلاف الصخري والغلاف الجويّ وخلق النباتات والحيوانات مباشرة بينما تميز السماء إلى سبع سماوات جاء بعد ذلك لصغر حجم الأرض وضخامة حجم السماوات التي بقيت تتوسّع فقد قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وما نحتاجه لنعيش هو السماء الدنيا فقط التي زينها ربّنا تبارك وتعالى بالنجوم والكواكب فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾<sup>(٢)</sup>، والمصابيح: هي النجوم.

والملاحظ أنّ الكواكب الصخرية في المجموعة الشمسية هي الكواكب الأربعة الأقرب للشمس: عطارد، الزهرة، الأرض والمريخ، أما الكواكب الخارجية فكلها كواكب غازية تشبه تمامًا أرضنا في بداية خلقها وقد أبقاها ربنا تبارك وتعالى كذلك لتكون شاهدًا لله الخالق بطلاقة القدرة.

هذه الحقائق العلمية لم يصل إليها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وتشهد لهذه الآيات القرآنية حقيقتها وصدقها، وأنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعده حتى يبقى القرآن شاهداً على الخلق أجمعين أنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم ﷺ الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

## في أشراط الساعة

## في الأدعية والأذكار

اللَّهُمَّ اسْتَعْمَلْنَا فِيكَ بِرِضَاكَ عَنَّا وَوَقَّفْنَا لِمَا طَلَبْتَهُ مِنَّا، اللَّهُمَّ اسْتَخْدَمْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا.